كتابته ، ولا أن يذهبوا مذهب ابن نباتة فى أسلوبه ، ولا أن ينهجوا منهج الحريرى فى سجعه وتكلفه ، وإنما أدعوهم الى التمكن من فقه اللغة ومتنها ، والانتفاع بالقواميس والمعاجم فان هذا مما يساعدهم على تلوين الخطاب وإحياء كلم اللغة الميتة ، فكم فى لغتنا من ألفاظ مهجورة ، وكم فى قواميسنا من مفردات مهملة ، مع أنها تصلح للاستعمال والتداول على أسلات الاقلام ، فمثلا كلمة « يتمعج » بمعنى يتلوى ويتثنى لاتجد الكتاب يستعملونها مع أنها سهلة النطق والرسم وقد تكون أولى مرادفاتها فى الاستعمال ، ومثلها كلمة « يعمس فى الامر » بمعنى يتجاهله وينافل عنه إلى غير ذلك من الكلمات التى نحن فى حاجة الى احيائها والتى فى تداولها تغزير لمادة الكتاب

وإحياء مهجور اللغة ليس معناه ان تستعمل كل كلمة غريبة مجهولة ، وان تجريها على أى وجه كان ، وتدرجها فى أى عبارة كانت ، وإنما هذا مقام يحتاج إلى البراعة والدقة ، وورد عن ابن شهيد الاندلسى انه قال « جلس إلى يوما يوسف الأسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مر بى — وأنا أوصى رجلا عزيزا على من أهل قرطبة وأقول له : إن للحروف أنسابا وقرابات تبدو فى الكلام ، فاذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال إى والله ! ! قلت له والعربية إذا طلبت ، وللفصاحة إذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر ! أفهمت ؟ قال نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب وتهرب من قبيحه قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل ؟

لعمرك إنى يوم بانوا فلم أمت خفاتا على آثارهم لصبور
غداة التقينا إذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
ففاضت دموع العين حتى كأنها لناظرها غصن يراح مطير

قال : إى والله ! وقعت « خفاتا » موقعا لذيذا ووضعت « رميت » و « متن الطريق » موضعا مليحا ، وسرى « غصن يراح مطير » مسرى لطيفا ، فقلت له : أرجو أنك تنسمت شيئا من نسيم الفهم ، فاغد على بشىء تصنعه الخ .

وفى هذه الحكاية يشرح لنا ابن شهيد كيف يكون استعمال الغريب وإحياء المهجور من الألفاظ ، فنرى أن تختار الكلمات الصالحة ، وأن يراعى فى وضعها القرابة والنسب ، حتى تحسن الصحبة وتطيب الألفة ، وهو رأى صحيح ولكنه يحتاج فى تنفيذه كما قلنا إلى البراعة والدقة ، فلعل الكتاب يستجيبون لدعوتنا ، ولعلهم يراعون هذا فى كتاباتهم فيكونوا قد بروا بلغتهم وخدموا أساليبهم ؟

الزقازيق محمد فهمى عبد اللطيف

الالوان والصور فى شعر ابن الرومى

الشعر تمثيل وتصوير ، قبل أن يكون لفظا منمقا وكلاما مزوقا ، وكما تعجبنا دقة الراسم حينما يبرز الأضواء والظلال ، والألوان والشكول ، لصورة من الصور ، فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصور لنا فى منظومه وابياته ما يرسمه الراسم بريشته وألوانه ، وحين يبدى لنا الشاعر حور العيون ، وسحر الجفون ، وحمرة الخدود ، وبروز النهود ، بتمثيل وتصوير لا بريشة والوان ، كلا الفنانين ممثل للحقيقة ، الا ان الراسم يصوغها شكولا والواناً ، والشاعر ينقلها شعوراً ووجداناً

قد يجتمع — وهذا نادر — للراسم خيال الشاعر ، وللشاعر دقة الراسم ، فان كان شىء من ذلك فقد استوى كل منهما على عرش الفن — فأى الرجلين كان ابن الرومى ؟

كان ابن الرومى رساماً فناناً ، ومصوراً ماهراً ، مرهف الحواس شديد التأثر بالطبيعة كأن أعصابه اسلاك كهرباء وعينيه عدسة الكاميرا ينطبع عليها مختلف المناظر والصور . وكأن أذنه — ميكروفون — موكل بالتقاط دقيق الأصوات وجليلها . وكان ابن الرومى ايضاً شاعراً مطبوعا واسع الخيال ، خصب الشعور ، مشبوب العاطفة . ولئن حق لابى العلاء ان نسميه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . فمن حق ابن الرومى ان يكون شاعر المصورين ومصور الشعراء . لان فى شعره دقة المصور وتعدد الوانه ، وروعة خيال الشاعر وسمو عواطفه . وهو حين يصف قينة شادية ، يستهويك من شعره عاطفة مشبوبة وخيال خصب ، ثم تصوير دقيق وانقلن للألوان الطبيعية .

وقينة إن منحت رزيتها رضيت مسموعها ومنظرها
شمس من الحسن فى معصفرة ضاهت بلون لها معصفرها

فى وجنات تحمر من خجل كأن ورد الربيع حمرها

وللشاهد الطبيعية الفاتنة ، ومجلى الربيع المونقة ، لوحات ساحرة فى شعر ابن الرومى ونحب ان نعرض عليك لوحة من هذه اللوحات لترى صدق قولنا . قال يصف روضة

وجادها من سحابة ديم ورد انوارها وعصفرها
وساق من حولها جداولها فشق أنهارها وفجرها
فارتدت الماء من جوانبها فرابها ربتا ونضرها
أمامها بركة مرخمة ترضى اذا ما رأيت مرمرها
أعارها البحر من جداوله لجا غزير المياه أخضرها

افلا ترى انك فى كل بيت ، حيال زهرة تقطفها ، وريحانة تنشقها ، وبركة إطارها من مرمر ومياهها أشبه بمياه بحر أخضر ؟

ثم إن حاسة اللون عند ابن الرومى حاسة زاكية متوفرة : وهى فى شعره بمنزلة علبة الالوان عند الرسام . لا تقوم صوره الا بها ، ولا تأخذ حظها من الحياة والحركة الا باصباغها . فحين يصف لك الكأس تترقرق فيها الخمر لا يشبهها بحصباء من الدر على أرض من الذهب ، وانما يوكل بها حاسة اللون الزاكية اليقظة فلا تكاد تعرض الالوانها البراق وشعاعها الخفاق . وقد يكون حظ ابن الرومى من تألق الخمرة ولهيبها . أكبر من حظ أبى نواس من نشوتها وديبيها

صفراء تنتحل الزجاجة لونها فتخال ذوب التبر حشو أديمها
لطفت فقد كادت تكون مشاعة فى الجو مثل شعاعها ونسيمها

ولقد عرض قوس قزح لعيون الشعراء ما عرض ، فلم نر شاعراً قبل ابن الرومى أو بعده استطاع أن يصور ألوانه الطبيعية فى اياته تصوير الرسام له فى لوحته وألوانه . فأنت تحت سحاب مطرز بالألوان ، مرصع الأردان مادمت تقرأ له هذه الأبيات

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا
من الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر
على أحمر فى أصفر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل
مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأحب أن تلتفت الى البيتين الأخيرين فان فيهما من جودة التصوير ومهارة تثبيت الالوان ما يعجز عنهما شاعر غيره .

وابن الرومى حين يصف القيان الشوادى والجوارى الغوانى يدرن الكؤوس ويملكن النفوس ، يبرز لنا أعضاءهن عضوا عضوا ويعرض علينا أجسامهن عرضا ، حتى لا تفوتنا بضاضة الاهاب ولا شفافة الثياب

من جوار كأنهن جوار يتسللن من حياة عذاب
لابسات من الشفوف لوسا كالهواء الرقيق أو كالسراب
فترى الماء ثم والنار والآ ل بتلك الأبشار والأسلاب

وكما كانت حاسة اللون اليقظة تصور اختلاف ألوان الطبيعة وتباين شكولها فلا تفوتها خافقة أو بارقة . كذلك كانت اذنه السامعة المرهفة تلتقط أدق الأصوات وأخفى النغمات . وهو حين يصف لنا صوت المغنية وحيد ، لا يصف غناءها حسب ، بل ينقل لنا بأذنه الحساسة رقيق نغماتها ولطيف نبراتها وعذوبة صوتها نقلا يشبه نقل المبكرفون .

مد فى شأو صوتها نفس كا ف كانفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال والغنج منه وبراه الشجا فكاد يبيد !
فتراه يموت طوراً ويحيى مستلذ بسيطه والنشيد
فيه وشى وفيه حلى من النغ م مصوغ يختال فيه القصيد

ما هذا شعر ! إن هو الا حاك يحكى واسطوانة تغنى

ولو أردنا أن نعرض عليك أشعاره فى وصف الاتزام والمحدودبين لحسبت نفسك أمام شريط سينمائى تطالعك فيه هذه الصور المضحكة . ولكن من الخير أن نكتفى بصورة واحدة من هذا الشريط وهى صورة الأحدب

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

فقد شخص لناظر القارىء فى هذين البيتين صورة طبق الاصل للاحدب يعجز عن تصويرها أمهر المصورين .

وجملة القول فى شعره انه كان تعرض له الصورة أيا كان نوعها فلا يصورها بحاسة واحدة وانما يوكل بها حواسه كلها . فترسم عينه أشكالها وألوانها وأضواءها وظلالها ولمحاتها وخلجاتها ، وتنظم أذنه صوتها وجرسها ، وينقل الأنف عرفها وريحانها ، واللمس وقعها وأثرها . أى أن جميع حواسه اليقظة تهض فى تصوير هذه الصورة حتى تبرزها موفورة الحظ من الحياة ، وفى هذه الأبيات يصف فيها شمس الأصيل وهى تجنح عن روضة ، غنى عن الشرح